

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[176] الآمال والتمنيات الواسعة في الحياة الدنيا لا يجلب له السعادة أبداً، بل سيزيده شقاءاً ومحنةً أيضاً، ويتفكّر أيضاً في أن أهم حالات الهدوء والطمأنينة هي هدوء الروح وسعادة الوجدان التي لم يحصل عليها الإنسان، إلا إذا سار في خط التقوى والتوكل على الله من موقع الإيمان به ومعرفة حال الدنيا لا من موقع الحرص والولع في تحصيل نعيمها الفاني وإمكاناتها المادية. وأن أفضل الطرق للوصول لهذا الهدف هو ما ورد في الحديث النبوي المعروف : "خُذْ مِنْ دُنْيَاكَ لِخَيْرَتِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ، وَمِنْ مَوْتِكَ لِمَا تَتَذَكَّرُ بِهِ مَا اسْمُكَ غَدًا" (1). أي ماذا يحصل لك في الغد وهل أنت من الأموات أم الأحياء، من المرضى أم الأصحاء ؟ والعامل الآخر الذي يُربّي الآمال والتمنيات ويقوي جذورها في نفس الإنسان هو الأهواء النفسية والعشق للدنيا والتعلق بها، فكلّما سعى المرء في التقليل من تعلّقاته الدنيوية فإنّ أمله في الحياة سيكون أقصر، وعلى العكس من ذلك كلّما تعلّق الإنسان بالدنيا أكثر كلّما ازدادت آماله وكثرت تمنياته. ولغرض تحصيل هذا الهدف أي تقصير الأمل في الدنيا فإنّ من أقوى العوامل المؤثرة في ذلك هو ذكر الموت الذي يُزيل عن بصيرة الإنسان حجب الغفلة فيرى حقائق الأمور كما هي ويُشاهد الواقعيات الكامنة خلف المظاهر البراقة والطواهر الزائفة. ولهذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة 99 في نهج البلاغة قوله : "إِذَا لَا فَادَ كُفْرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنْذَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْإِمْدَانِ". ونقرأ في حديث آخر عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ضمن خطبة له : "عُدَّ نَفْسُكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ" (2). وذلك لكي لا تبثلي بطول الأمل. ونقرأ في النقطة المقابلة لذلك ما ورد عن أمير المؤمنين أنّه قال : "إِذَا كَثُرَ النَّاسُ أَمَلًا أَقَلَّ هُمٌ" 1. بحار الأنوار، ج 74، ص 122. 2. بحار الأنوار، ج 74، ص 122.